10me Année No. 466

Lundi - 8 - 6 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٦٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ — الموافق ٨ يونية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة

٥٩٣ الصفاء بين الأدباء أيضاً ... : الأستاذ توفيق الحكيم ...

٥٩٦ الحب الضائع ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...

٥٩٩ « أرواح وأشباح » ... : الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

٦٠١ الزكاة ... . : الأستاذ عبد العليم رزق الدهشان

٦٠٥ في مجلس الأستاذ أبي الوفاء الشرقاوي ... ... } الأستاذ محمد حسنين مخلوف

٦٠٧ بعض ما نحب وما نكره.. . : الأستاذ حسين الظريفي ...

٦٠٩ نشيد الأغلال ... [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل

٦١١ (١) صاحب اللحية البيضاء : الأستاذ عباس فهمي محمد بدر

٦١١ (٢) صاحب اللحية البيضاء : الأستاذ كامل يوسف ...

٦١١ (١) كم ذا ؟ ... . . : الأستاذ محمود البشبيشي ..

٦١٢ (٢) كم ذا ؟ . . .. : الأستاذ راتب خليفة ...

١٨ ٠ ٣٨ .

الصفاء بين الأدباء أيضاً

للأستاذ توفيق الحكيم

كانت دعوتي إلي الصفاء بين الأدباء خالصة لوجه الأدب .

فأدباء مصر البارزون الدائبون على الإنتاج لا يتجاوز عددهم العشرة مع التسامح الشديد ، بينما نظراؤهم في بلد كفرنسا يبلغون أكثر من مائتين من المشهورين المنتجين ، ومع ذلك نطلع على صحفهم الأدبية فلا نرى غير تكاتف وتساند على أداء رسالة الأدب والفكر . إن الفن طويل والحياة قصيرة ، وكان الأجدر بنا نحن العشرة أن نوجه صراعنا لا إلى بعضنا البعض ، بل إلي الفن ومصاعبه وأسراره . إن « جوته » حتى وهو مستشار للدولة ما كان يستغني يوماً عن صديقه « شيلر » وهما يعملان في عين الفرع من الأدب التمثيلي ، فكانت بينهما مراسلات لا تنقطع طول النهار على قرب الديار ، جمعت في مجلدين يرى المطلع عليهما كيف أنهما كانا يتشاوران في تفاصيل القصص الذى كانا ينشئان ويتحاوران في أمر بناء الوقائع ورسم الأشخاص ، بل وفيما ينبغي أن يختار لذلك القصص من اسم وعنوان ... كنت أحب لأنفسنا مثل هذا الصفاء الذى يخرج في جوه الفن الصافي .

ولكن الأستاذ عباس محمود العقاد في مقاله « صداقات الأدباء » رد يقول إن صاحب الدعوة إلى الصفاء هو الذى يحث عن أسباب الكدر بملقاط ليخلقها خلقاً بين رجلين على أحسن ما يكون

من الصفاء ! فإذا صح هذا الزعم كان حقاً مما يدعو إلى الأسف بل إلى السخرية ! وربما كان ظاهر الوقائع يدل على ذلك ؛ ولكن هل كانت تلك حقيقة المقاصد والنوايا ؟ ليس من واجب الأستاذ العقاد فيما أرى أن يبحث خلف أستار الظاهر ، وليس من حق أن أطالبه بالنفوذ إلى أعماق النفوس ، فليكن الله وحده إذن شهيداً على ما أضمرت . وقد رأى الأستاذ العقاد أن يجزى واحدة بواحدة، فلم يفته فى ختام مقاله أن يدس هو الآخر سبباً من أسباب الكدر بينى وبين الدكتور طه حسين بقوله : « إن الأستاذ الحكيم يقول بعد الإشارة إلى ثناء الدكتور طه عليه منذ سنوات : لم نسمع فى غير مصر أن الناقد إذا أثنى على كتاب حسب أنه تفضل على مؤلفه ورفع شأنه من الحضيض الخ الخ » . ومضى يصورنى فى هيئة الناكر للجميل ، والأستاذ العقاد ولا شك قد فهم أنى ما قصدت بإيراد هذه العبارة وأمثالها إلا مجرد إظهار الإساءة لطه حسين وهو فى أوج نفوذه . فقلت ما نصه : « إن هذا الوقت هو أحب الأوقات عندى لإساءته لا لإرضائه . . . وأما مشاعرى الخاصة كانسان نحو الدكتور طه فليس الظرف اليوم مواتياً للأطناب فى وصفها ؛ وسأختار الزمان والمكان الملائمين للأفاضة بها دون أن يحمل فعلى على غير محمله » . لكن . . . ما دام الأمر قد حمل على غير وجهه وسجل علىّ سبباً من أسباب الكدر المانعة من الصفاء ، فهل أحجم عن العمل على إزالة الأكدار ؟ وإذا كانت الظروف هى التى شاءت أن تختار الزمان والمكان الملائمين للأفاضة بما عندى ، فماذا يجب أن أصنع أمام مشيئة الأقدار ؟ فلأتكلم إذن ولأقص القصة كما رأيتها وعشتها ...

الحقيقة أنها كانت قصة انتهت مع الأسف بانهيار صداقة من أعظم الصداقات التى عرفها أدبنا المعاصر . لقد كان مبدأ ظهورى فى الجو الأدبى كما هو معلوم نشر «أهل الكهف» عام ١٩٣٣ ، ولم تكن هذه الرواية بالطبع بدايتى الأولى فى هذا اللون من التأليف ، بل كانت ثمرة تجاريب عشرة أعوام أو يزيد سابقة على الشروع فى وضعها ؛ فلقد كنت قبل ذلك أكتب للمسرح المصرى روايات مما يلائم جمهور تلك الأيام . فمثلت لى أربع قصص وعهد بالخامسة إلى المرحوم سيد درويش ليضع ألحانها ولكنه اختلف مع المسرح على الأجر المطلوب . وكانت هنالك فيما أذكر سادسة وسابعة لست أدرى ما حدث لهما . وإنى وإن كنت أوثر نسيان هذه الروايات الأولى إلا أنى لا يجب أن أنكر فضلها على تكوينى الفنى الأول ، فلقد كانت هى خير مران لى على ممارسة الحوار ، ثم اتسعت آفاقى باتساع نطاق مطالعاتى فى أصول هذا الفن فى الآداب الأجنبية . وضاقت بى مصر فرحلت إلى فرنسا بعد أن كنت قد سجلت اسمى فى جدول المحامين ومهدت أمرى لحياة مجدية . ولكن أى شيطان فى أعماق نفسى كان يدفعنى إلى إضاعة حياتى وراء فن لم يكن له بمصر أى احترام ؟ وهنالك فى فرنسا قرأت كثيراً وكتبت بالفرنسية نحو أربع روايات تمثيلية مزقت الواحدة تلو الأخرى تمزيقاً عقب الفراغ منها واطلاع بعض أرباب ذلك الفن عليها . فلم أكن قد اهتديت بها إلى شىء يذكر . ولبثت فى هذا الجهاد زمناً لا أجد فى آدابنا العربية مرجعاً لهذا الفن ولا مصدراً محترماً يجعلنى أبدأ منه أو أضيف إليه . إنما كان علىّ أنا أن أخلق البداية خلقاً . وكتبت بعد ذلك عدة روايات من بينها « أهل الكهف » دون أن أدرى أنها موفية بالغرض بعض الشىء أو قريبة من الهدف الذى أسعى إليه . وقد اشتغلت بالقضاء فأنسانى هذه «الخزعبلات» ودفنت مخطوطاتى فى حقائبى طويلاً أتنقل بها من بلد إلى بلد ومن قرية إلى قرية ، حتى وقعت مخطوطة « أهل الكهف » ذات يوم فى يد قاض مثقف من زملائى كان يذكر أيامى الماضية فى مسارح القاهرة . وانتقل بالمخطوطة إلى العاصمة ، ومن هناك أرسل إلىّ يقول إنه ساع فى طبعها . فتملكنى الدهش . ما معنى الطبع ؟ ولماذا ؟ وماذا يحدث إذا طبعت غير خسارة المصاريف ؟ فلما أصر أصررت على ألا يتجاوز عدد المطبوع مائتين من النسخ . وهو أكبر عدد يمكن توزيعه على المعارف والإخوان . أما أكثر من هذا فلا أعرف ما أصنع به ، وليس لدى مكان أخزن فيه هذه الأكداس من الورق .

ونشرت «أهل الكهف» وحدث ما يعرفه الناس . فقد قام الدكتور طه حسين يعلن فى (الرسالة) بصراحة وقوة أن الأمر ليس فقط أمر كاتب وكتاب ، إنما هو « باب أدبى جديد فتح فى الأدب العربى ... الخ الخ » . وظلت تلك عقيدة طه حسين يناضل عنها حتى عند ما عارضته بعدئذ بقولى إن الحوار الأدبى عرفه الجاحظ ووجد منه كثير فى كتاب الأغانى ، فقصد أبى الاعتراف بذلك وأصر على اعتبار « أهل الكهف » مبدأ ظهور « الحوار الأدبى التمثيلى » باباً من أبواب الأدب العربى كما هو مقرر فى الآداب الأجنبية باباً من أبوابه . ولقد كان طه حسين مخلصاً فى مذهبه

إلى حد أغضب الكثيرين وإلى حد استطاع معه أن يقنع صفوة من المفكرين ، أذكر منهم « لطفي السيد » الذي استقبلني بعد نشر « شهرزاد » بقوله : « أنت شيخ طريقة ... أقصد في الأدب . وطه حسين على حق . وطه بخيل وهو لا يصر هذا الإصرار إلا إذا اقتنع »

تساءلت فيما مضى وأتساءل الآن مرة أخرى : هل كان في طاقتي أو طاقة إنسان فرد أن يشكر طه حسين على كل هذا ؟! في الحق أن عمله كان أجل وأضخم من أن أتولى أنا وحدي شكره . لقد كان على الأدب العربي ممثلاً في رجاله وهيئاته أن يقوم بذلك . ولعل التاريخ يصنع هذا لو ثبت له أن طه مصيب

على أني في حقيقة الأمر لست أذكر ما اعتراني من شعور في ذلك الوقت ، وأغلب الظن أني شغلت عن الأدب العربي وأبوابه ومذاهبه بشيء أجل بكثير من كل هذا : هي صداقة طه حسين نفسها . فقد بعثت إليه ببرقية ، وأنا لا أعرفه ، غداة ظهور مقاله المشهور ، أشكره فيها شكراً حاراً . ثم تركت إقليمي الذي كنت فيه وكيلاً للنائب العام وجئت مصر فلقيت طه حسين ونشأت بيننا مودة كانت أرفع وأجل من أن تعيش طويلاً . لقد لبثنا شهوراً وكأن أحدنا قد عثر على شيء ثمين يعثوره على الآخر . إن طه شخصية عظيمة باهرة . إنه من شخصيات التاريخ بلا جدال. والتاريخ فيما يخيل إليّ فنان ، يتخير أشخاصه بيده ويطبعهم بخاتمه حتى قبل أن يلبسهم أدوارهم ويدفعهم إلى مصائرهم العظمى ! لقد كان حديث طه يسحرني ، وشئونه تعنيني ... لقد كان مجرد اسمه يذكر أمامي يجعل نفسي تتفتح مبتهجة كأنها زهرة مر عليها نسيم ! وربما كنت أنا أيضاً أنزل من نفسه بعض هذه المنزلة . فقد كتب ذات مرة يقول : « إني أسمع اللوم لأني أحب توفيق الحكيم ، وأقرأ الشتم لأني أكبر توفيق الحكيم ، وأنا أبسم للوم اللائمين وأضحك لشتم الشاتمين . لأني لم أحب هذا الكاتب إلا لأنه ألهمني الحب ، ولم أعجب بهذا الكاتب إلا لأنه ألهمني الإعجاب ! »

لكن ... وا أسفاه ! لقد تقلب أولئك الشاتمون واللائمون آخر الأمر ، وفازوا بمآربهم وأشعلوا نار الوقيعة بيننا ، واضعين أيديهم على مواطن الضعف فينا ، وضعف الفنان هو عزته وكرامته وإن شئت قل غروره ... وهكذا لم يستطع طه حسين أن يحتفظ طويلاً بابتسامه وضحكه أمام الساعين بالسوء ؛ ولم أستطع أنا أن أحتفظ بأتزاني ، فأفقد المودة الصادقة ، وأضحي بالمزة الكاذبة ...

وبهذا حطمنا تلك الجوهرة التي منحتنا إياها السماء ... من أجل ... من أجل ماذا ؟

لست أدري ما حدث بعد ذلك ، فذاكرتي الآن لا تسعفني ، كل ما أذكره أننا حاولنا أن نرمم ما تحطم ... ولقد أقمنا معاً بعض الصيف في جبل الأتب ... فضحكنا كثيراً ، ولهونا طويلاً ، بل لقد ألفنا معاً هناك كتاباً ... ولكن ... ولكنها مع ذلك لم تكن الصداقة الأولى ... لماذا ؟ لعل شيئاً في نفسينا لم يكن صافياً كل الصفاء ، أو في نفسي أنا على الأقل ... إني أعترف ، لقد كنت أمتنع عن كل ما يؤخذ على أنه ملق أو زلفى ... لقد كان طه حسين وقتئذ كما هو الآن شخصية ذات نفوذ ، وأنا أكره إرضاء أصحاب النفوذ

أنا الذي كان ينبغي له أن يهدي إلى طه حسين كثيراً من كتبه ، أو على الأقل « أهل الكهف » ... كنت أتردد في كل طبعة تصدر لهذا الكتاب أو غيره ، ولم أجد في نفسي الشجاعة أو القوة على القيام بهذا الواجب الضئيل ... لماذا ؟ لأن طه من أصحاب النفوذ ! هذا أيضاً ما جعلني أصمت عن التنويه بآثاره وأنا أقدر الناس على فهم ملكاته وهباته ... ولكني الآن وقد وضعت بين تهمتين : الزلفى أو نكران الجميل ... فإني أؤثر التهمة الأولى : فلقد سبق أن اتهمت بها في مجال السياسة ، فلم تلبث براءتي أن ظهرت ، فمن السخف أن أقيم لمثل هذه الأشياء بعد اليوم وزناً ... لقد كادت تضيع بسببها أيضاً صداقتي « بمحمد المشاوي » ، فلقد تجنبته عن عمد بلا جريرة يوم عين وكيلاً لوزارة المعارف منذ أعوام ، لكنه فطن إلى الأمر ، فما زال يظهر لي من المودة أضعاف ما كان يظهر من قبل ، حتى اطمأنت نفسي ، وأيقنت أنها صداقة حقيقية بين عقلين وروحين ، لا شأن فيها للنفوذ ، ولا دخل للمناصب

إن الخلق العظيم جمل لا يقوم به غير العظماء ... ! هم وحدهم الذين أعطوا الشجاعة والقوة على أن يسيروا قدماً نحو الجميل النبيل من الأخلاق دون أن يلتفتوا يميناً أو يساراً ، ودون أن يصغوا إلى همس الهامسين وتأويل المؤولين ! !

والآن ، لعلي قد رددت على كلمة الدكتور طه حسين التي نشرها في (الأهرام) ، ولعله اقتنع بأن الأمر لم يكن جحوداً ولكنه تردد ، وهذا لا يغير من الموقف كثيراً ، ولكن هذا خلق ، فليساعدني على علاجه أصدقائي ! !

(البقية على صفحة ٦١٢)